التقرير اليومي

2007/9/24

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

برنامج الأسلحة الإستراتيجية السورية

بقلم مايكل إيسينستادت؛ معهد واشنطن؛ 2007/9/20

نتج عن الضربة الجوية الإسرائيلية في 6 أيلول على شمال شرق سوريا إستنتاج حاد. فبحسب صحيفة "نيويورك تايمز"، تعتقد الإستخبارات الإسرائيلية بأنّ الهدف كان جزءاً من برنامج نووي سوري سري بمساعدة كوريا الشمالية. وهذا يرفع تساؤلات أوسع حول وضع برامج الأسلحة الإستراتيجية لسوريا، التي قد تلعب، على الأرجح، دوراً حاسماً في أية مواجهة مع إسرائيل مستقبلاً.

شبكة الأمان الإستراتيجية لسوريا

ولأنّ سوريا تفتقر لراعي من القوى العظمى وللعمق الحدودي (تبعد القوات الإسرائيلية 30 ميلاً عن دمشق)، فإنّ النظام يعتمد على أسلحة إستراتيجية– على القذائف الصاروخية والصواريخ التقليدية والمسلحة برؤوس كيماوية بشكل رئيس– لردع هجوم خارجي ما وضمان بقائه. أما الغارة الإسرائيلية، فقد رفعت الهواجس بأنّ سوريا قد تكون تسعى لتكملة مخزونها من الأسلحة الكيماوية الأساسية بترسانة نووية صغيرة.

الأنشطة النووية: إنّ البنية التحتية النووية المدنية السورية المعلن عنها لا تزال في مراحلها الأولى، ولم يكن هناك من دليل، إلا مؤخراً، عن برنامج أسلحة نووي (فالإشاعات بأنّ النظام كان زبوناً لدى شبكة عبد القادر خان لم يتم التأكد منها مطلقاً). فسوريا لديها مختبرات أبحاث نووية، نموذج مصغر لمفاعل بقوة 30 كيلو واط (غير مناسب لإنتاج المادة الإنشطارية)، جسيِّم أولي صغير لمسرّع، ومحطة لفصل اليورانيوم عن ترسبات الفوسفات الوفيرة في البلاد. وكانت دمشق قد أظهرت، في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، إهتماماً بالحصول على مفاعلات أبحاث أكبر وعلى محطات طاقة نووية وتحلية مياه من روسيا ومن أي مكان آخر، لكن لم يثمر عن ذلك أي شيء.

وكان الإستنتاج بشأن الضربة الجوية قد ركّز على التقارير التي ذكرت بأنّ الضربة إستهدفت موقعاً كانت كوريا الشمالية قد نقلت إليه، بشكل مفترض، مواداً نووية أو تكنولوجيا قبل عدة أيام. إنّ المساعدة الخارجية يمكن أن تساعد للإنطلاق في برنامج أسلحة نووي سوري، لكن سيلزمه، على الأرجح، سنوات قبل قطف النتائج– إلا إذا كانت كوريا الشمالية قد وفرت لسوريا مواداً إنشطارية (بلوتونيوم على سبيل الإفتراض)، والتي يمكن من خلالها صنع القنبلة.

وكان الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد قد لمح الى أنّ البلاد لم تطوّر سلاحاً نووياً لأنّ إستخدامه ضد دولة مجاورة سيضر بالشعب السوري ويستثير رداً قاسياً من القوى العظمى. ومن غير الواضح ما إذا كان الرئيس الحالي بشار الأسد يتقاسم هذه الرؤية مع والده، أم تلك التي لقادة عرب مثل حسن نصر الله في حزب الله، الذي يشدد على الأهمية المتنامية لحرب نفسية وعلى القصف الإستراتيجي كوسائل لشن حرب ضد إسرائيل.

الأسلحة الكيماوية والبيولوجية: تملك سوريا، على الأرجح، البرنامج الكيميائي الحربي الأكبر والأحدث والأكثر تطوراً في العالم العربي. ويُعتقد بأنّ لديها نموذجاً ثنائي العنصر ورؤساً حربية كيماوية عنقودية (تنتشر على مساحة واسعة عند إنفجارها)، هذا بما يخص كل أنظمتها الصاروخية الرئيسة، بالإضافة الى آلاف القنابل المملوءة بعوامل مؤثرة على الأعصاب مع مادة VX، على الأرجح، والتي تُعتبر كلها قابلة للتوجيه ضد أهداف ميدانية وضد أهداف إستراتيجية في دول مجاورة.

وقد عمل برنامج الأسلحة الكيماوية لسوريا، تقليدياً، كرادع إستراتيجي، مع القنابل والرؤوس الحربية الكيماوية التي تشكل تهديداً للمراكز الآهلة بالسكان. ويمكن إستخدام هذه الأسلحة ضد قواعد جوية، مدرعات ومواقع القيادة– والتحكم لأجل قطع ومنع جهود التحرك والعمليات العسكرية. أما التقارير التي تذكر بأنّ سوريا قد أنتجت أنبوباً ومدفعية قذائف صاروخية مملوءة بعوامل تقرّح من نوع الخردل، فتشير الى أنها قادرة أيضاً على توجيه ضربات كيماوية ضد أهداف ميدانية. إنّ أسطوانات المدفعية المملوءة بعوامل كهذه ستكون فعالة في إبطاء تقدم القوات البرية الإسرائيلية، ما يؤدي الى شراء الوقت لحصول تدخل دولي لإنهاء الحرب.

كما يُعتقد أيضاً بأنّ لدى سوريا برنامج أبحاث وتطوير بيولوجية حربية، برغم قلة التفاصيل المتوفرة علناً. أما الإشاعات حول نقل العوامل الكيماوية والبيولوجية الحربية العراقية الى سوريا عشية غزو العراق عام 2003 فلم يتم تأكيدها وتبدو بعيدة الإحتمال. وعلى خلاف العام 1991، لم يرسل العراق سلاحه الجوي الى الخارج قبل الحرب، وإختار بدلاً من ذلك دفن أفضل طائراته الحربية في الصحراء. وإذا كان هناك من مخزونات كيماوية وبيولوجية ناجية من التدمير عشية الحرب، فمن المرجح أن يكون قد تم التعامل معها بشكل مشابه.

الصواريخ والقذائف الصاروخية: تملك سوريا إحدى أكبر القوى الصاروخية في العالم النامي. إذ تشكل الصواريخ السوفياتية سكود Bs القصيرة المدى (300 كلم) والصواريخ الكورية الشمالية سكود Cs الأطول مدى (500كلم) وسكود Ds (700 كلم)، العمود الفقري لهذه القوة. وتوفر هذه الصواريخ لسوريا ردعاً إستراتيجياً ضد إسرائيل والدول المجاورة الأخرى من خلال قدرتها على ضرب المراكز الآهلة بالسكان.

وتملك سوريا حوالي 200 صاروخ سكود Bs، 60–120 سكود Cs وعدد أقل من صواريخ سكود Ds، والتي يتم الإحتفاظ بها في ملاجئ سرية محصنة موجودة على جوانب التلال والأنفاق في أجزاء مختلفة من البلاد. وبالرغم أنّ صواريخ سكود Bs يجب إطلاقها من مواقع متقدمة قرب دمشق، حيث يكون وضعها حساساً لجهة التعقب والتدمير قبل إطلاقها، فإنّ بإمكان صواريخ سكود Cs و Ds الوصول الى أهدافها في إسرائيل من مواقع إطلاق موجودة في أي مكان من البلاد. إن هذه الحقيقة ستُعقّد، وبشكل بارز، أية جهود

إسرائيلية في تحديد وتدمير هذه الصواريخ (برغم أداء القوات الإسرائيلية الجيد ضد صواريخ حزب الله الطويلة المدى خلال حرب صيف 2006 في لبنان، حيث دمرتها قبل التمكن من إطلاقها).

وتمتلك سوريا أيضاً الصواريخ السوفياتية SS-21 ذات المدى البالغ 70 كلم، بالإضافة الى أعداد كبيرة من القذائف المدفعية المنتجة محلياً من عيار 220 ملم و 302 ملم ذات مدى يصل من 70 الى 100 كلم على التوالي. فهذه الأنظمة يُزمع إستخدامها، على الأرجح، ضد أهداف عسكرية وضد مراكز آهلة بالسكان؛ كما بالإمكان إستخدامها أيضاً لقمع أو التغلب على دفاعات صاروخية إسرائيلية بحيث تتمكن الصواريخ الأكبر من شق طريقها. فهذه القذائف المدفعية، المسلحة برؤوس حربية تقليدية وكيماوية على ما قيل، بإمكانها الوصول الى أهدافها على إمتداد شمال إسرائيل. إنّ نجاح صواريخ حزب الله القصيرة المدى خلال حرب لبنان شجّع سوريا، بحسب الظاهر، على التشديد والإهتمام أكثر بقوة قذائفها الصاروخية.

سيناريوهات التوظيف

كانت سوريا قد إستخدمت قوتها القاذفة والصاروخية لإعطاء إشارات إستراتيجية كما إستخدمتها للردع. فخلال أزمة الصواريخ السورية في نيسان 1981 والغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران عام 1985، طورت سوريا مواقع عديدة لصواريخ سكود Bs قرب دمشق– حيث بإمكان إسرائيل ملاحظتها– كتحذير بعدم الهجوم. وفي الأشهر الأخيرة، طورت سوريا، على ما قيل، أعداداً كبيرة من الصواريخ الطويلة المدى مقابل الجولان أثناء إجراء عدد من التدريبات العسكرية الإسرائيلية الرئيسة هناك، وذلك، بحسب الظاهر، لردع ما إعتبرته تحضيرات لهجوم ما.

فإذا ما فشل الردع، فإنّ القوة القاذفة والصاروخية لسوريا ستلعب، على الأرجح، دوراً رئيسياً في أية مواجهة مع إسرائيل، كوسيلة لردع حدوث تصعيد أكبر أو للتشويش على التحرك الإسرائيلي والعمليات الإسرائيلية ومنعهما. وقد تشعر سوريا أيضاً بإغراء مهاجمة المراكز الآهلة بالسكان لزعزعة المعنويات الإسرائيلية– ما يرفع من إمكانية حدوث تصعيد أكبر وبالتالي إستخدام الأسلحة الكيماوية إذا ما شعر النظام أو دمشق بالتهديد. ولهذه الأسباب كلها، وبرغم أنّ ضربة 6 أيلول الإسرائيلية قد تكون درأت حصول تطور نووي غير مرغوب، فإنها قد تشير أيضاً الى بداية توتر متزايد وتفجّر بين إسرائيل وسوريا.

تقييمات الأسد الضعيفة

بقلم دايفيد شنكر؛ معهد واشنطن؛ 2007/9/19

في 6 أيلول، قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف موقع لأسلحة نووية في سوريا من المفترض أن كوريا الشمالية زودتها بها. أما الحادث، فيسلط الضوء على فكرة سائدة في الحياة السياسية الإقليمية في السنوات الأخيرة: تقييم الرئيس بشار الأسد الهزيل بعمق.

فالسياسات التي يواصل القيام بها نظام الأسد، تحديداً منذ العام 2003– بدءاً من العراق ولبنان وصولاً الى السلطة الفلسطينية– كانت إستفزازية بشدة. فسوريا بظل حكم بشار الأسد عملت بقوة على تقويض الإستقرار في أربع بلدان مجاورة. أما الآن، فإنّ الكشف عن برنامج سوريا النووي يهدد بإشعال حرب مع إسرائيل.

إنّ قضايا تقييمات الرئيس السوري، تحديداً، ليست مفاجئة. فبعد كل شيء، لم يكن مقصوداً مطلقاً أن يحكم بشار سوريا. فوالده، الدكتاتور السوري القديم حافظ الأسد، لم يختره إلا عقب موت إبنه الأكبر باسل. فحيث أنه يعوزه الإستعداد لهذه الوظيفة، فقد تم تدريب بشار على عجل. فقد إنضم الى الجيش السوري في العام 1994 وكوفئ برتبة عقيد لينضم بذلك إلى صف حاملي هذه الرتبة في خلال 5 سنوات فقط– وهو إنجاز يستلزم عادةً 20 عاماً. وعندما خلف والده حافظ الأسد في نهاية المطاف في العام 2000، لم يمنحه عنوان "الرئيس مدى الحياة" خبرة والده ولا تقييمه للأمور.

فخلال 7 سنوات فقط في السلطة، إستفز بشار عداء كل جيران سوريا، ما عدا تركيا ذات القيادة الإسلامية، بالإضافة الى عدد كبير من الدول الأوروبية والولايات المتّحدة. وكان هذا الإنجاز المريب قد تحقق، والى حد كبير، بفعل سياسات مجانية بلا مسوغ مثل تزويد صدام بمواد عسكرية عشية الغزو الأميركي. كما إستطاع مجافاة وإقصاء العربية السعودية الصديق القديم لسوريا. وفي وقت سابق من هذا الشهر، اجلى السعوديون سفيرهم في بيروت بعد علمهم بمؤامرة إغتيال بتوجيه سوري.

وبفضل بشار، يواجه نظام الأسد، الذي تحكّم بسوريا، وبراحة، على مدى 30 عاماً، تهديداً وجودياً من المحكمة الدولية المفوضة من الأمم المتّحدة، والتي ستقاضي قتلة رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري. وكان المحققون الدوليون قد سبق وأشاروا الى أنه سيتم الزج بمسؤولين كبار في نظام بشار في الجريمة. هذا التطور يمكن أن يهز أسس النظام.

وفي حين أنّ بشار وزمرته العلوية الحاكمة يحتفظون بإمساكهم بالسلطة، فإنّ موقع سوريا الإقليمي والدولي قد إنحدر بشكل مثير بظل قيادته. ولم يحدث هذا لأنّ بشار أقلع عن سياسات والده المثيرة للجدل، وإنما بالأحرى لأنّ هذه السياسات قد تواصلت من دون إعتبار للديناميكيات الإقليمية والدولية المتغيرة. فحافظ الأسد لم يكن الدواء الشافي لكل العلل والأمراض، لكنه كان حذراً. أما ولده،فمتهور.

أما التغيير الأكثر تميزاً ووضوحاً فيتعلق بعلاقة سوريا مع إيران. فالقومي العربي حافظ الأسد تحالف، مع ذلك، مع طهران (الفارسية)، لكنه إعتمد على الإتحاد السوفياتي السابق كراعٍ عسكري له. ومنذ توليه السلطة، قام بشار الأسد بتعزيز العلاقات مع إيران، تحديداً في المجال العسكري. ولم تقم طهران، على ما قيل، بإستيعاب مقدار كبير من ديون دمشق لروسيا فحسب، بل يقال بأنّ الحرس الثوري الإيراني متمركز في سوريا لتوفير التدريب. فسوريا– بشار أصبحت زبوناً لدى الراعي الإيراني.

وقد دعمت سوريا حماس بهدوء بظل حكم حافظ الأسد، حيث وفرت ملاذاً آمناً للجماعة الإرهابية الفلسطينية. أما بشار، فقد طور هذه العلاقات أيضاً بالتخلص من الوهم القديم بأنّ مكاتب حماس في دمشق لم تكن سوى مكاتب "إعلامية" فحسب. وفي العام 2006، وفي تطور غير مسبوق، سمحت سوريا لقادة حماس بتحمل المسؤولية عن خطف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، وذلك من مكتب حماس في دمشق. وفي الأسبوع التالي، أرسلت إسرائيل طائراتها فوق قصر بشار الصيفي في اللاذقية.

وقد تحولت علاقات سوريا مع حزب الله أيضاً. فحافظ الأسد رأى بحزب الله هراوة غليظة يستثمرها ضد إسرائيل ونادراً ما إلتقى الأمين العام حسن نصر الله. أما بشار، فيبدو بأنه يكنّ إعجاباً حقيقياً لمنظمة "المقاومة"، ملتقياً بنصر الله بعشرات المناسبات تقريباً. هذا التحول بالمفهوم تترجم الى علاقات عملانية أوثق. فسوريا لطالما كانت العقدة الأساسية في شحن الأسلحة من إيران الى حزب الله. أما الآن، وبظل حكم بشار، فإن سوريا تزود المنظمة الإرهابية الشيعية بأسلحتها الرفيعة الروسية الصنع وكذلك المنتجة محلياً، مستدعية بذلك عملاً إسرائيلياً مباشراً.

أخيراً، هناك العلاقة مع كوريا الشمالية. فسوريا كانت تقايضها منذ بعض الوقت، متلقية بذلك مساعدات تقنية من بيونغ يانغ لبرامج أسلحتها الصاروخية والكيماوية، الأمر الذي لم يسترع سوى عقوبات وإهتمام دولي ضئيل. لكن، وكما هو الحال مع حزب الله، حماس والعراق، فقد مضى بشار بعيداً في مسعاه بحسب ما هو ظاهر. وبرغم الهدنة الموقعة عام 1974، فإنّ سوريا وإسرائيل، تقنياً، في حالة حرب. فعلى مدى عقود، إستمرت سوريا بحربها ضد إسرائيل عبر بدائل. وبرغم هذا الأمر، فإنّ أرض الجولان المتنازع عليها– والتي إحتلتها

إسرائيل في العام 1967 وضمتها في العام 1981– لا تزال حدود إسرائيل الأهدأ. كل هذا يمكن أن يتغير، على كل حال، إذا ما شعر نظام الأسد بأنه مجبر على الرد عسكرياً، سواء كان ذلك بعيداً عن مسألة الإفتخار أو لإسكات منتقديه. وليس من شك بأنّ الهجوم الإسرائيلي كان محرجاً لنظام الأسد. فالمسؤولون السوريون الآن يحذرون، وبشكل ينذر بالسوء، بأنهم "سيختارون المكان والزمان" لردهم. فإذا ما قرر بشار الإنتقام، فإنّ العواقب ستكون مدمرة بالنسبة لسوريا.

وبأمل إنقاذ محادثات كوريا الشمالية وعملية سلام الشرق الأوسط المحتضرة، تأمل واشنطن بأن تتجنب دمشق الردود الإنتقامية والتقليل من أهمية الحادث. لكن وبشكل مؤسف، وبسبب ميله للتقييم السيء، فإنّ نسب إحتمالات قيام الأسد بخيار بائس آخر تعتبر مرتفعة رغم ذلك.

* *دايفيد شنكر زميل كبير في شؤون السياسة العربية في معهد واشنطن. عمل من العام 2002 وحتى 2006 في مكتب وزارة الدفاع كمدير قسم بلدان سوريا، لبنان، الأردن والأراضي الفلسطينية.*

Research Services Group
www.ipileb.com